مفهوم الاستخلاف
وعمارة الأرض في الإسلام

دكتور/ عبد اللَّه بن علي البار(*)

الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهد اللَّه فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن استقرار ووضوح المفاهيم المتعلقة بمصطلحات العلوم والفنون أمر ضروري للدارسين والمشتغلين بها، ومن أكثر مصطلحات الاقتصاد الإسلامي شيوعًا مصطلحي الاستخلاف والعمارة وهما من المصطلحات الإسلامية، والعربية المحضة، ومن الملاحظ أن هناك قصور في فهم هذين المصطلحين في الجانبين اللغوي، والشرعي، ومعرفة مدلولاتهما، وأبعادهما.

ومما يزيد الإشكال استخدام مصطلح التنمية الاقتصادية مكان هذين المصطلحين، وهو مصطلح منقول عن النظم والثقافة الغربية

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامي المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

الوضعية يختلف في مفهومه ومدلوله إضافة إلى عدم وضوحه واستقراره[1].

واستعمال المصطلحات الأجنبية المترجمة حرفيا في التعبير عن قضايا الاقتصاد الإسلامي، دون تمييز بين ما هو مشترك المدلول وما هو

(١) يقول الدكتور شوقي أحمد دنيا: «وغير خاف لدى الدارس الاقتصادي ما هو قائم من اختلافات واضحة بين رجال الفكر الاقتصادي حيال موضوع التنمية، سواء تمثل هذا الخلاف في الناحية الشكلية اللفظية، فبعضهم يذكر لفظ النمو، والبعض الآخر يذكر لفظ التنمية، والبعض الثالث يذكر لفظ التغيير الطويل المدى، وأخيرًا هناك لفظ التطوير الاقتصادي، مما دعا بعضهم إلى اعتبار هذه الألفاظ بمثابة المترادفات». الإسلام والتنمية الاقتصادية ص ٢٢ .

= اختلفت تعاريف التنمية الاقتصادية في الاقتصاد الوضعي على أقوال منها :

أ – عرفها ماير بأنها عملية يزداد خلالها الدخل القومي الحقيقي للدولة خلال فترة زمنية معينة، بحيث تؤدي زيادته عن معدل النمو السكاني إلى زيادة دخل الفرد في المتوسط.

ب – وعرفها بولدوين بأنه توسع في الاقتصاد تمكنه من استيعاب مزيد من القوى العاملة كل سنة، يؤدى إلى توفير احتياطات نقدية تسمح بالإنفاق العسكري، وتحقق مستويات عالية من التعليم المجاني، والقيام بمختلف البرامج الاجتماعية.

جـ – وعرفها ويلمزن بأنها استخدام الموارد المتاحة للحصول على زيادة مستمرة من المنتجات السلعية والخدمية .

انظر: الإسلام والتنمية الاقتصادية ص٢٤، ص٨٥، مقدمة في علم الاقتصاد للدكتور صبحي تادرس قريصة، ومدحت محمد العقاد، ص٤٢٨، التخطيط والتنمية في الإسلام للدكتور محمد عبد المنعم عفر ص١٢٢، المذهب الاقتصادي في الإسلام للدكتور محمد شوقي الفنجري، بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي ص٩١ .

مختلف، يخفي معالم تفرد وتمييز الاقتصاد الإسلامي عن غيره على مستوى النظرية والتطبيق، وله آثار سلبية على مستوى البحث ومرجعيته، وعلى إيصال الأفكار والحقائق الاقتصادية الإسلامية إلى غير المسلمين والعرب، لاسيما ذات المفهوم الإسلامي الخاص كالمصطلحين اللذين نحن بصددهما.

هدف وخطة البحث

نستهدف بهذا البحث تجلية معنى وأبعاد مفهومي الاستخلاف والعمارة من الناحيتين اللغوية والشرعية، ونسعى إلى تحقيق هذا الهدف من خلال المباحث الآتية:

(تمهيد) في أصل الاستخلاف والعمارة في الإسلام.

(المبحث الأول) في بيان معنى العمارة والاستخلاف في اللغة والقرآن الكريم

ويتفرع إلى الفرعين الآتين:

الفرع الأول : الاستخلاف في اللغة والقرآن الكريم.

الفرع الثاني: العمارة في اللغة والقرآن الكريم .

(المبحث الثاني) في بيان المستخلف في الأرض ومهمته .

(المبحث الثالث) حكم وأبعاد مفهوم العمارة والاستخلاف في الإسلام

ويتفرع إلى الفرعين التاليين:

الفرع الأول : حكم القيام بمهمة الاستخلاف والعمارة في الإسلام .

الفرع الثاني : أبعاد مفهوم الاستخلاف والعمارة في الإسلام .

تمهيد
أصل الاستخلاف والعمارة

يرجع أصل استخلاف الإنسان في الأرض، والأمر بعمارتها، إلى قصة خلق آدم عليه السلام، وإخراجه وزوجه من الجنة واهباطهما إلى الأرض وسبب ذلك، ونستعرض تلك القصة على نحو ما أخبرنا بها اللَّه تعالى فقد خلق سبحانه آدم، وكرمه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢) . ومن مظاهر إكرامه وتفضيله تعالى لآدم أمره عز وجل الملائكة بالسجود له قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى﴾(٣) .

وكان امتناع إبليس عن السجود استكباراً وتعالياً وحسداً أول مظاهر عداوته للإنسان، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ

(٢) سورة الإسراء الآية (٧٠).
(٣) سورة طه الآية (١١٦).

مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(٤).

ولظهور الحسد والعداوة من إبليس، فقد حذر تعالى آدم عليه السلام منه، فقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾(٥). ولم يزل إبليس بآدم وزوجه يوسوس لهما حتى أخرجهما من الجنة، ووقع ما حذر منه تعالى ، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(٦)، وقال تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى* فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾(٧).

ثم اهبط تعالى آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض، وزودهما بتعاليم ومنهج الإقامة فيها المتضمن أسباب الهداية والسعادة قال تعالى: ﴿قَالَ

(٤) سورة ص الآيات (٧٣ ،٧٤، ٧٥، ٧٦).
(٥) سورة طه الآيات (١١٧، ١١٨، ١١٩).
(٦) سورة الأعراف الآية (٢٠).
(٧) سورة طه الآيات (١٢٠، ١٢١، ١٢٢).

اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾(٨). وبين تعالى أن مخالفة منهجه وتعاليمه موجب للشقاوة والحرمان في الدنيا، والعذب والخسران في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾(٩).

وتوعد إبليس بمواصلة عداوته لآدم وذريته حتى بعد اهباطه إلى الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً* قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾(١٠).

وبين تعالى لنا المنهج الذي سيسلكه إبليس في عداوته لنا في الدنيا بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا

(٨) سورة طه الآية (١٢٣) .
(٩) سورة طه الآيات (١٢٤ –١٢٧).
(١٠) سورة الإسراء الآيات (٦٢، ٦٣).

غُرُوراً* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾(١١)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً* لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً* وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً* يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً﴾(١٢).

وحذر تعالى بني آدم من عداوة الشيطان لهم ومن محاولاته إخراجهم عن منهج اللَّه تعالى الذي رسمه لحياتهم على الأرض، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ* يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١٣).

وقضى علمه وحكمته تعالى باستخلاف الإنسان في الأرض لعمارتها وفق منهجه تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

(١١) سورة الإسراء الآيات (٦٤، ٦٥).
(١٢) سورة النساء الآيات (١١٧-١٢٠).
(١٣) سورة الأعراف الآية (٢٦، ٢٧).

الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(١٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(١٥).

(١٤) سورة البقرة (٣٠).
(١٥) سورة هود الآية (٦١).

المبحث الأول

الاستخلاف والعمارة في اللغة والقرآن الكريم

الفرع الأول

الاستخلاف في اللغة والقرآن الكريم

الاستخلاف في اللغة

قال ابن منظور في بيان معني الاستخلاف في اللغة : « الخَلْفُ ضدّ قُدّام. قال ابن سيده: خَلْفُ نَقِيضُ قُدَّام مؤنثة وهي تكون اسماً وظَرفاً، فإذا كانت اسماً جَرَت بوجوه الإعراب، وإذا كانت ظرفاً لم تزل نصباً على حالها... و خَلَفَه يَخْلُفه : صار خَلْفَه. و اخْتَلَفَه : أَخَذَه من خَلْفِه. واخْتَلَفَه وخَلَّفَه و أَخْلَفَه : جعله خَلْفَه . ...واسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان : جعله مكانه... والخَلِيفةُ: الذي يُسْتَخْلَفُ ممن قبله، والجمع خلائف، جاءوا به على الأَصل مثل كريمةٍ، وكرائِمَ، وهو الخَلِيفُ والجمع خُلَفاء »(١٦).

الاستخلاف في القرآن الكريم

بتدبر معنى الاستخلاف في القرآن الكريم نجده جاء بمعنى وضع شيء مكان شيء كان قبله واللَّه سبحانه وتعالى متصرف في الأشياء

(١٦) لسان العرب باب الخاء ٨٤/٩ .

بإرادته، و قد جاء الاستخلاف في سياقات متعدده في القرآن الكريم منها :

١)على سبيل الامتنان منه تعالى بإنعامه على المستخلفين فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٧). وقوله تعالى: ﴿.. وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١٨). وقوله تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾(١٩). وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢٠). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا﴾(٢١).

٢) على سبيل الإغراء والوعد ومنه ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

(١٧) سورة الأنعام آية (١٦٥).
(١٨) سورة الأعراف آية (٦٩) .
(١٩) سورة يونس آية (٧٣).
(٢٠) سورة النمل آية (٦٢) .
(٢١) سورة فاطر آية (٣٩) .

أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٢٢]. قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ الآية[٢٣]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٢٤]. قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢٥].

٣) على سبيل التهديد والوعيد بإزالة نعمة الاستخلاف ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[٢٦]. قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٢٧]. وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ..﴾ الآية[٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾.

(٢٢) سورة مريم آية (٥٩) .
(٢٣) سورة النور آية (٥٥) .
(٢٤) سورة الأعراف آية (١٢٩) .
(٢٥) سورة سبأ آية (٣٩) .
(٢٦) سورة الأنعام آية (١٣٣) .
(٢٧) سورة هود آية (٥٧) .
(٢٨) سورة الأعراف آية (١٦٩) .

٤) على سبيل الابتلاء والاختبار ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٢٩).

٥) على سبيل بيان آياته تعالى وإثبات ربوبيته عز وجل، بدوران الليل والنهار يخلف أحدهما الآخر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(٣٠). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي..﴾(٣١). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ..﴾(٣٢). وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٣٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣٤).

٦) على سبيل إقامة من يقوم بعمل مشروط على سبيل النيابة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي

(٢٩) سورة يونس آية (١٤).
(٣٠) سورة الفرقان آية (٦٢).
(٣١) سورة البقرة آية (١٦٤) .
(٣٢) سورة آل عمران آية (١٩٠) .
(٣٣) سورة المؤمنون آية (٨٠) .
(٣٤) سورة الجاثية آية (٥) .

وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٥]. وقوله تعالى: ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..﴾ الآية[٣٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٣٧].

مما مضى يتضح أن استخلاف اللَّه للإنسان في الأرض مظهر من مظاهر التكريم، وصورة من صور الابتلاء والاختبار، وأنه مشروط بتطبيق منهج الله تعالى وتعاليمه، وأن سعادة الإنسان وشقاوته منوطة بتطبيق هذا المنهج كما أوضحته الآيات في سورة طه .

هذا ونشير إلى أن مصطلح الاستخلاف عند الفقهاء جعل شخص آخر مكانه ليكمل عمله أو ينوب عنه، كقولهم الاستخلاف في الصلاة، وهو أن يقيم الإمام من يتم الصلاة مكانه[٣٨]، وكقولهم استخلف فلان فلانا ليكون وصيا على ولده، ونحو ذلك .

---

(٣٥) سورة الأعراف آية (١٤٢).

(٣٦) سورة ص آية (٢٦) .

(٣٧) سورة البقرة (٣٠).

(٣٨) قال العبدري في التاج والإكليل ٢/ ١٣٥ : «الاستخلاف تقديم إمام بدل آخر لاتمام صلاة خشي تلف مال أو نفس » .ولا يخلو كتاب من كتب الفقه من مبحث بعنوان الاستخلاف في الصلاة وأحكامه .

الفرع الثاني
العمارة في اللغة والقرآن الكريم

العمارة في اللغة

العمارة مصدر عمر، ومن معانيها اللغوية فيما يتعلق بموضوعنا، البناء بمعنى وضع شيء على شيء على سبيل الدوام[٣٩]، و بمعنى جعل الشيء آهلا بإشغاله بما يناسبه، وتقترب العمارة بهذا المعنى من معاني ألفاظ البناء والإحياء والترميم والإصلاح، حيث تدور هذه الألفاظ حول معنى العمارة بإنشاء البناء أو بجعل الشيء منتفعا به، أو إصلاحه لتهيئته للانتفاع .

قال الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن : « العمارة نقيض الخراب، يقال: عَمَرَ أرضه يَعْمُرُها عِمَارَةً، قال تعالى: ﴿ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. يقال: عَمَّرْتُهُ فَعَمَرَ فهو مَعْمُورٌ قالَ : (وعمروها أكثر مما عمروها. والبيت المعمور). وَأَعْمَرْتهُ الأرضَ واسْتَعْمَرْتُهُ إذا فَوَّضْتَ إليه العِمَارَةَ، قال: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. والعَمْرُ والعُمُرُ اسْمٌ لِمدةِ عمارة البدَنِ بالحياة فهو دون البقاء فإذا قيل: طال عمره فمعناه

(٣٩) قال ابن منظور في لسان العرب ١٤ / ٩٤ : «.... سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة والمظلة والفسطاط والسرادق ونحو ذلك وعلى أنه مذ أوقع على هذا الضرب من المستعملات المزالة من مكان إلى مكان لفظ البناء تشبيها بذلك من حيث كان مسكونا وحاجزا ومظلا بالبناء من الآجر والطين والجص ».

عمارة بدنِه بروحه وإذا قيل: بقاؤه فليس يقتَضي ذلك فإن البقاء ضد الفناء، ولِفضلِ البقاء على العمر وصف اللَّه به وقلما وصف بالعمر. وَالتعمير إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبِيل الدعاء»(٤٠).

وقال الفيروز أبادي في القاموس المحيط : «وعمر اللَّه منزلك عمارة وأعمره جعله آهلا و- عمر - الرجل ماله وبيته عمارة وعمورا لزمه وعمر المال نفسه كنصر وكرم وسمع عمارة صار عامراً وأعمره المكان واستعمره فيه جعله يعمره والمعمر كمسكن المنزل الكثير الماء والكلأ وأعمر الأرض وجدها عامرة وعليه أغناه والعمارة ما يعمر به المكان وبالضم أجرها»(٤١).

وقال الفراهيدي في كتاب العين : «عمر الناس وعمرهم اللَّه تعميرا وتقول إنك عمري لظريف وعمر الناس الأرض يعمرونها عمارة وهي عامرة معمورة ومنها العمران واستعمر اللَّه الناس ليعمروها واللَّه أعمر الدنيا عمرانا فجعلها تعمر ثم يخربها»(٤٢).

وقال الفيومي في المصباح المنير: «عمر المنزل بأهله عمراً من باب

(٤٠) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (كتاب العين) .ثم إن البناء يكون معنويا كما يكون حسيا، كقولهم بنى حكمه على قاعدة كذا، أو بناء على كذا .
(٤١) القاموس المحيط ١ / ٥٧١ .
(٤٢) كتاب العين للفراهيدي ١٢٧/٢ .

قتل فهو عامر وسمي بالمضارع وعمره أهله سكنوه وأقاموا به يتعدى ولا يتعدى وعمرت الدار عمراً أيضا بنيتها والاسم العمارة بالكسر والعمارة القبيلة العظيمة والكسر فيها أكثر من الفتح وعمارة بالضم اسم رجل والعمران اسم للبنيان»[٤٣].

العمارة في القرآن الكريم

من استعراض الآيات التي تناولت العمارة في القرآن الكريم، يتضح أنها جاءت على معاني على النحو الآتي :

١) طول العمر في الدنيا ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٤٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٤٥]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ...﴾ الآية[٤٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[٤٧].

(٤٣) المصباح المنير ٢/٤٢٩ .
(٤٤) سورة البقرة آية (٩٦) .
(٤٥) سورة فاطر آية (١١) .
(٤٦) سورة فاطر آية (٣٧) .
(٤٧) سورة يس آية (٦٨) .

٢) إشغال الشيء باستعماله فيما جعل له[٤٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ* إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٤٩]. وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

(٤٨) قال القرطبي في تفسيره ٨٩/٨: «اختلف العلماء في تأويل هذه الآية: فقيل: أراد ليس لهم الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع عن المسجد الحرام وكانت أمور البيت كالسدانة والسقاية والرفادة إلى المشركين فبين أنهم ليسوا أهلا لذلك بل أهله المؤمنون. وقيل: إن العباس لما أسر وعير بالكفر وقطيعة الرحم قال: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا فقال علي ألكم محاسن قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية ردا عليه ». وقال البغوي: « فذهب جماعة إلى أن المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام ».تفسير البغوي ٢٧٤/٢ . وقال النسفي: «عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس». تفسير النسفي ٢/ ٨٢ . وقال ابن تيمية : « فإن المراد بعمارتها عمارتها بالعبادة فيها كالصلاة والإعتكاف يقال مدينة عامرة إذا كانت مسكونة ومدينة خراب إذا لم يكن فيها ساكن ومنه قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن يبنيها البر والفاجر والمسلم والكافر وذلك يسمى بناء».كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ٤٩٩/١٧ .

(٤٩) سورة التوبة الآيات (١٧، ١٨) .

الظَّالِمِينَ﴾(٥٠). وقوله تعالى: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾(٥١)،(٥٢).

٣) بمعنى البناء أي وضع شيء على شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(٥٤)، على رأي من فسر ذلك بطلب عمارتها بالبناء والإحياء الحسي .

(٥٠) سورة التوبة آية (١٩) .
(٥١) سورة الطور آية (٤) .
(٥٢) روى البخاري في صحيحه ٣/ ١١٧٣، ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٩ : أنه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « فرفع ليَّ البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ».
قال ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٣٠٩ : «وجاء عن الحسن ومحمد بن عباد بن جعفر أن البيت المعمور هو الكعبة والأول أكثر وأشهر وأكثر الروايات أنه في السماء السابعة وجاء من وجه آخر عن أنس مرفوعا أنه في السماء الرابعة وبه جزم شيخنا في القاموس وقيل هو في السماء السادسة وقيل هو تحت العرش وقيل أنه بناه آدم لما أهبط إلى الأرض ثم رفع زمن الطوفان وكأن هذا شبهة من قال أنه الكعبة ويسمى البيت المعمور الضراح والضريح ».
(٥٣) سورة الروم آية (٩) .
(٥٤) سورة هود آية (٦١).

وعلى ما مضى فالعمارة يراد بها طول العمر كقولنا عُمِّرَ فلان أي طال عمره، ويراد بها إشغال الشيء بما جعل له من عَمَرَ كقولهم عُمِرَت الدار أو الضيعة بمعنى سكنت، ويراد بالعمارة أيضا البناء كقولنا عَمَّرَ البناء الدار أي أنشأها .

المبحث الثاني
آراء العلماء في المستخلف في الأرض ومهمته

آراء العلماء في المستخلف في الأرض

اختلفت أقوال العلماء، في الخليفة، المقصود بقوله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قال أبو حيان في تفسيره: «والخليفة:

١- قيل: هو آدم لأنه خليفة عن الملائكة الذين كانوا في الأرض، أو عن الجن بني الجان، أو عن إبليس في ملك الأرض، أو عن اللَّه تعالى، وهو قول ابن مسعود وابن عباس. والأنبياء هم خلائف اللَّه في أرضه(٥٥)، أرضه(٥٥)، واقتصر على آدم لأنه أبو الخلائف، كما اقتصر على مضر وتميم وقيس، والمراد القبيلة .

٢- وقيل: ولد آدم لأنه يخلف بعضهم بعضا إذا هلكت أمة خلفتها أخرى، قاله الحسن، فيكون مفردا أريد به الجمع، كما جاء: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾، ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا

(٥٥) قال البيضاوي في تفسيره ١ /٢٨٠ : «والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة اللَّه في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم اللَّه في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبيء ملكا».

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

٣- وقيل: الخليفة اسم لكل من انتقل إليه تدبير أهل الأرض والنظر في مصالحهم، كما أن كل من ولى الروم: قيصر، والفرس: كسرى، واليمن: تبع»[٥٦].

ولا يخفى أن القول الثاني في المراد بالخليفة أعم وأليق بحال التكليف العام، ويدخل فيه تبعا ولاة الأمر المدبرون لأمور رعاياهم والناظرون في مصالحهم.

مهمة الاستخلاف

تتضح المهمة التي استخلف آدم وذريته للقيام بها من أقوال العلماء في تفسير آيتي سورتي البقرة وهود، وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير قوله تعالي في سورة هود: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. وقد حصرها أبو حيان الأندلسي في تفسيره، على النحو الآتي : «

١ - استعمركم جعلكم عماراً.

٢ - وقيل: استعمركم من العمر أي استبقاكم فيها قاله الضحاك أي أطال أعماركم.

(٥٦) تفسير البحر المحيط ١/١٤٠ .

٣ - وقيل: من العمرى، قاله مجاهد: فيكون استعمر في معنى أعمر، كاستهلكه في معنى أهلكه. والمعنى: أعمركم فيها دياركم، ثم هو وارثها منكم. أو بمعنى: جعلكم معمرين دياركم فيها، لأنّ من ورث داره من بعده فإنه أعمره إياها، لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره.

٤ - وقيل: ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها .

٥- وقال زيد بن أسلم: استعمركم أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار»[٥٧].

وقد ذهب جمع من العلماء إلى الأخذ بالقول الأخير على ما سيأتي في المبحث التالي .

وذكر أبو حيان وغيره قولين في المستخلف فيه هما:

أحدهما: الحكم بالحق والعدل.

الثاني : عمارة الأرض، يزرع ويحصد ويبني ويجري الأنهار[٥٨].

ولا تنافي بين القولين ويمكن الجمع بينهما بأن الأول لولاة الأمر

(٥٧) البحر المحيط ٢٣٨/٥، انظر أيضا : أحكام القرآن للقرطبي ٥٦/٩ .
(٥٨) تفسير البحر المحيط ١٤٠/١ ،انظر أيضا : روح المعاني ٢٢٠/١، وأضواء البيان ٥٦/١.

والثاني لعموم المكلفين .

المبحث الثالث

حكم وأبعاد مفهوم العمارة والاستخلاف في الإسلام

الفرع الأول

حكم القيام بمهمة الاستخلاف والعمارة في الإسلام

أقوال العلماء في حكم عمارة الأرض

نقل القرطبي عن بعض علماء الشافعية قولهم بوجوب عمارة الأرض حيث قال: «قال بعض علماء الشافعية الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من اللَّه تعالى على الوجوب قال القاضي أبو بكر تأتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان منها استفعل بمعنى طلب الفعل كقوله استحملته أي طلبت منه حملانا...»(٥٩).

وقال الجصاص فيما ذكره من تفسيرات: «وقوله: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ يعني أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية »(٦٠).

وقد بين الألوسي وجه الاستدلال على الوجوب بقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

---

(٥٩) المصدر نفسه ٥٦/٩ .
(٦٠) أحكام القرآن للجصاص ٣٧٨/٤ .

مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(٦١). بقوله: « فالسين للطلب، وإلى هذا ذهب الكيا، واستدل بالآية على أن عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب، وقسمها في الكشاف إلى واجب كعمارة القناطر اللازمة والمسجد الجامع، ومندوب كعمارة المساجد، ومباح كعمارة المنازل، وحرام كعمارة الحانات، وما يبنى للمباهاة أو من مال حرام كأبنية كثير من الظلمة، واعترض على الكيا بأنه لم يكن هناك طلب حقيقة ولكن نزل جعلهم محتاجين لذلك، وإقدارهم عليه وإلهامهم كيف يعمرون منزلة الطلب »(٦٢).

ويلاحظ أن ما نقله الألوسي عن الكشاف إنما هو للتمثيل على كل نوع من أنواع العمارة، والواجب منها تحكمه قاعدة مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وعليه يندرج تحت الواجب منها على الأفراد والدولة مالا حصر له من أوجه العمارة، فكل مالا يتحقق إلا به عزة ورفعة المسلمين، وكفايتهم، فهو واجب، ويشمل ذلك قائمة طويلة من صور العمارة الواجبة .

(٦١) سورة هود آية (٦١).
(٦٢) روح المعاني ٨٨/١٢، انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل ٢٧٨/٢ .

وقال ابن تيمية في بيان ما يتحول إلى فرض عين من فروض الكفاية من الحرف والأعمال: «ومن ذلك أن يحتاج الناس إلى صناعة ناس مثل حاجة الناس إلى الفلاحة والنساجة والبناية، فإن الناس لا بد لهم من طعام يأكلونه وثياب يلبسونها ومساكن يسكنونها، فإذا لم يجلب لهم من الثياب ما يكفيهم كما كان يجلب إلى الحجاز على عهد رسول اللَّه كانت الثياب تجلب إليهم من اليمن ومصر والشام وأهلها كفار وكانوا يلبسون ما نسجه الكفار ولا يغسلونه، فإذا لم يجلب إلى ناس البلد ما يكفيهم احتاجوا إلى من ينسج لهم الثياب ولابد لهم من طعام إما مجلوب من غير بلدهم وإما من زرع بلدهم وهذا هو الغالب، وكذلك لا بد لهم من مساكن يسكنونها فيحتاجون إلى البناء. فلهذا قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كأبي حامد الغزالي وأبى الفرج بن الجوزى وغيرهم إن هذه الصناعات فرض على الكفاية فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها كما أن الجهاد فرض على الكفاية إلا أن يتعين فيكون على فرضا على الأعيان مثل أن يقصد العدو بلداً أو مثل أن يستنفر الإمام أحدا.... . والمقصود هنا أن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه لاسيما إن كان غيره عاجزاً عنها، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم، صار هذا العمل واجباً يجبرهم ولى الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل ولا يمكنهم

من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل... . وكذلك إذا احتاج الناس إلى من يصنع لهم آلات الجهاد من سلاح وجسر للحرب وغير ذلك فيستعمل بأجرة المثل ...».

وقال أيضا: «وقد ذكر طائفة من العلماء من أصحابنا وغيرهم، أن أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والبناية فرض على الكفاية، والتحقيق أنها فرض عند الحاجة إليها وأما مع إمكان الاستغناء عنها فلا تجب وهكذا بيعها، فإن من يوجبها إنما يوجبها بالمعاوضة لا تبرعا فهو إيجاب صناعة بعوض لأجل الحاجة إليها و قولي عند الحاجة فإن المسلمين قد يستغنون عن الصناعة بما يجلبونه أو يجلب إليهم من طعام و لباس والأصل أن إعانة الناس بعضهم لبعض على الطعام و اللباس والسكنى أمر واجب وللإمام أن يلزم بذلك ويجبر عليه ولا يكون ذلك ظلما بل إيجاب الشارع للجهاد الذي فيه المخاطرة بالنفس والمال لأجل هداية الناس في دينهم أبلغ من هذا كله فإذا كانت الشجاعة التي يحتاج المسلمون إليها و الكرم الذي يحتاج المسلمون إليه واجباً فكيف بالمعاوضة التي يحتاج المسلمون إليها و لكن أكثر الناس يفعلون هذا بحكم العادات و الطباع وطاعة ... »[٦٣].

(٦٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٨ /٧٩، انظر أيضا مغني المحتاج للشربيني ٢١٣/٤، الموافقات للشاطبي ٣٨١/٣.

وقال القرطبي: «والزراعة من فروض الكفاية فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها وما كان في معناها من غرس الأشجار»(٦٤).

وقال الرازي «واعلم أن في كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وكون الإنسان قادراً عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع، ويرجع حاصله إلى ما ذكره اللَّه تعالى في آية أخرى وهي قوله: (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى). وذلك لأن حدوث الإنسان مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح موافقة للمنافع يدل أيضاً على وجود الصانع الحكيم»(٦٥).

ولا يخفى بعد استعراض أقوال العلماء، أن من قال بوجوب عمارة الأرض كما نقل القرطبي عن بعض الشافعية، وكما نقل الجصاص، ليس المقصود منه وجوب مطلق العمارة وإنما ما يتعين لحاجة الفرد والمجتمع، كما اتضح من كلام الزمخشري، وابن تيمية، والقرطبي .

(٦٤) أحكام القرآن للقرطبي ٣٠٦/٣ انظر أيضا : التاج والإكليل ٣٤٨/٣، وأحكام القرآن للجصاص ٣٧٣/٤، في تفسير قوله تعالي: (ليتفقهوا في الدين) .
(٦٥) مفاتيح الغيب ٧٠/٥ .

الفرع الثاني
أبعاد مفهوم الاستخلاف والعمارة في الإسلام

للاستخلاف وعمارة الأرض في الإسلام أبعاد متعددة من أهما:

١. **شمولية الاستخلاف والعمارة : ذلك أن الاستخلاف والعمارة على تفسيرها بأنها تطبيق شرع اللَّه تعالى، فشرع اللَّه تعالى قد جاء شاملا منظما لكل نشاط الإنسان الروحي والأخلاقي والمادي فلا تتحقق عمارة بغير هذه الشمولية والأبعاد، وإن أخذنا بتفسير من قال إن العمارة يقصد بها البناء والإحياء بكل صوره، فهذا لا يكون مطلقا بل في ظل شمولية بقية التشريعات الإسلامية التي تحكم نشاط المسلم وأخلاقه وسلوكه، وتعامله الخاص والعام.**

ويتأكد هذا المفهوم للاستخلاف، والعمارة في الإسلام بأبعاده، بما ورد في الشرع من التشريعات المختلفة التي طبقها النبي ﷺ وأصحابه، ومن بعدهم من السلف الصالح . هذا التشريعات التي تحقق معنى الاستخلاف والعمارة المستمرة المتوازنة، بأبعادها المادية والمعنوية والروحية .

حيث لم يقتصر مفهوم العمارة في الإسلام على تحقيق المظاهر المادية للعمارة فقط بل شمل أيضا تحقيق العمارة المعنوية والمعرفية

للإنسان من خلال مجموعة المعلومات التي جاء بها عن الكون والطبيعة والإنسان، والغيبيات، والهدف من وجوده، وعن طريق حثه على طلب العلم والمعرفة وتكريمه للعلماء ورفعهم فوق غيرهم .

كما عمل على تحقيق عمارة روحية ونفسية، واجتماعية، للفرد والمجتمع، بغرس القيم والأخلاق الحميدة التي ترسخ مفهوم الأخوة الإنسانية والإسلامية، ومبدأ البر، والإحسان العام إلى كل شيء، والإيثار، والتعاون، والمواساة، والتناصح والتناصر، وتخلص الأنفس مما جبلت عليه من شح وبخل وأنانية، يضاف إلى ذلك ما جاء به الإسلام من حث على العمل والجد والكسب وذم للسفاهة والبطالة، والإسراف، وتضييع المال.

وهي عمارة تعود ثمارها على الإنسان بأجياله المتعاقبة، وتراعي الطبيعة بما تحويه من مكونات نباتية وحيوانية ومناخية، وغيرها، بل وتجاوزت ذلك إلى ما خلف الطبيعة[٦٦]، والعمارة بهذا المعنى الشامل

(٦٦) يتجلى ذلك في نهيه صلى اللَّه عليه وسلم عن الاستنجاء بالروث والعظم لعدم إدخال الضرر على الجن في طعامهم،حيث قال لأبي هريرة ﷺ : «ابغني أحجارا أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة». قال أبو هريرة : فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت فقلت : ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت اللَّه

أوسع في مفهومها من مفهوم التنمية الاقتصادية في الاقتصاد الوضعي، حيث تقتصر على توفير المظاهر المادية من تراكم لرأس المال أو رفع لدخل الفرد، ولا تلتفت عند تطبيقها إلى غير ذلك مما ذكرنا، وانطلاقا من هذه الشمولية، وتمشيا مع ما ذكره علماؤنا من تفسير لمعنى الاستخلاف والعمارة، فقد آثرت استعمال مصطلح العمارة عوضا عن مصطلح التنمية، فلا يلزمنا، استعارة مصطلح نشأ وترعرع مفهومه في غير البيئة الإسلامية ولا ينسجم مع منظومة قيمها ومفاهيمها ،إضافة إلى كونه غير متفق عليه في لفظه ومفهومه عند أربابه، مع وجود ما يقوم مقامه، ويعبر عن المفهوم الإسلامي بشكل أشمل وأدق .

٢. العمارة عبادة وقربة : ذلك أن الإنسان مخلوق لعبادة اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٦٧]. ومفهوم

لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما». أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٠١/٣ .

قال ابن حجر في فتح الباري ٢٥٦/١ : «والظاهر من هذا التعليل اختصاص المنع بهما نعم يلتحق بهما جميع المطعومات التي للآدميين قياسا من باب الأولى وكذا المحترمات كأوراق كتب العلم».

وما روى مسلم في صحيحه ٣٩٤/١: عن جابر قال: نهى رسول اللَّه ﷺ عن أكل البصل والكراث فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس».

(٦٧) سورة الذاريات آية (٥٦).

العبادة، لا يقتصر على أداء الشعائر الواجبة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، بل يشمل أداء جميع التكاليف من واجبات ومندوبات، حتى المباحات إذا اقترن فعلها بنية التقرب إلى اللَّه تعالى تحولت إلى عبادة، يدل على ذلك عدد من الأدلة منها:

أ- قوله صلى اللَّه عليه وسلم : «إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى»(٦٨).

ب- وقوله: «يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة صانعه المحتسب فيه الخير والرامي به ومنبله...» الحديث(٦٩).

جـ- وقوله صلى اللَّه عليه وسلم لسعد ﷺ : «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك»(٧٠)، وغيرهم، وفي الباب عدد من الأدلة فلتراجع في مظانها .

قال الشاطبي في بيان تأثير النية في العادة : « ...وما غلب فيه جهة العبد فحق العبد يحصل بغير نية فيصح العمل هنا من غير نية ولا يكون

(٦٨) صحيح البخاري ٢٤٦١/٦، وصحيح مسلم ١٥١٥/٣.
(٦٩)صحيح ابن خزيمة ١١٣/٤، مسند أحمد ١٤٦/٤، مجمع الزوائد للَّهيثمي ٢٦٩/٥، المصنف لابن أبي شيبة ٢١٥/٤، سنن أبي داود ١٣/٣، و السنن الكبرى للبيهقي ١٣/١٠ .
(٧٠) صحيح البخاري ٤٣٥/١، صحيح مسلم ١٢٥١/٣، الموطأ ٧٦٣/٢ .

عبادة للَّه فإن راعى جهة الأمر فهو من تلك الجهة عبادة فلا بد فيه من نية أي لا يصير عبادة إلا بالنية لا أنه يلزم فيه النية أو يفتقر إليها بل بمعنى أن النية في الامتثال صيرته عبادة كما إذا أقرض امتثالا للأمر بالتوسعة على المسلم أو أقرض بقصد دنيوي وكذلك البيع والشراء والأكل والشرب والنكاح والطلاق وغيرها ومن هنا كان السلف رضي اللَّه عنهم يثابرون على إحضار النيات في الأعمال ويتوقفون عن جملة منها حتى تحضرهم»(٧١).

وقال السيوطي: «وسائر القرب بمعنى توقف حصول الثواب على قصد التقرب بها إلى اللَّه تعالى وكذلك نشر العلم تعليما وإفتاء وتصنيفا والحكم بين الناس وإقامة الحدود وكل ما يتعاطاه الحكام والولاة وتحمل الشهادات وأداؤها بل يسري ذلك إلى سائر المباحات إذا قصد بها التقوي على العبادة أو التوصل إليها كالأكل والنوم واكتساب المال وغير ذلك وكذلك النكاح والوطء إذا قصد به إقامة السنة أو الإعفاف أو تحصيل الولد الصالح وتكثير الأمة ويندرج في ذلك ما لا يحصى من المسائل»(٧٢).

٣. العمارة صدقة جارية وإن لم تكن في الملك : يدوم ثواب العمارة التي

(٧١) الموافقات ٢ / ٣١٧ .
(٧٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٠ .

ينتفع بها الإنسان أو الحيوان بدوامها منتفعا بها، كما أن أجرها يلحق من قام بها وإن كانت في ملك غيره، وبهذا يدخل طوائف العمال والأجراء العاملين في كافة أشكال عمارة الأرض .

يدل لذلك ما روي أن النبي ﷺ دخل على أم معبد حائطا فقال : «يا أم معبد من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر». فقالت : بل مسلم قال : «فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»(٧٣).

قال ابن حجر: «وفي الحديث فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض، ويستنبط منه اتخاذ الضيعة والقيام عليها، .. ..»، وفي رواية لمسلم: «إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة». ومقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولا منه ولو مات زارعه أو غارسه ولو انتقل ملكه إلى غيره وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس ولو كان ملكه لغيره لأنه أضافه إلى أم مبشر ثم سألها عمن غرسه . قال الطيبي: «نكر مسلما وأوقعه في سياق النفي وزاد من الاستغراقية وعم الحيوان ليدل على سبيل الكناية على أن أي مسلم كان حرا أو عبدا مطيعا أو عاصيا يعمل أي عمل من المباح ينتفع بما عمله

(٧٣) صحيح مسلم ١١٨٩/٣، واللفظ له، والبخاري في صحيحه ٨١٨/٢ وليس في روايته إلى يوم القيامة .

أي حيوان كان يرجع نفعه إليه ويثاب عليه»[٧٤].

وقال عبد اللَّه بن سلام ﷺ لداود بن أبى داود : «إن سمعت بالدجال قد خرج وأنت على ودية تغرسها فلا تعجل أن تصلحها فإن للناس بعد ذلك عيشا»[٧٥].

وقال المناوي في شرح قوله صلى اللَّه عليه وسلم: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها»[٧٦] .. .. .. والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة ، وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا..[٧٧].

(٧٤) فتح الباري ٥ / ٤ .
(٧٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٦٨/١ .
(٧٦) مسند أحمد ١٨٣/٣، مسند عبد بن حميد ٣٦٦/١، الأدب المفرد ٦٨/١، مجمع الزوائد ٦٣/٤، وقال : «رواه البزار ورجاله أثبات ثقات » .
(٧٧) فيض القدير ٣٠/٣

نتائج البحث وتوصياته

في ختام هذا البحث نلمح إلى أهم نتائجه وتوصياته على النحو الآتي:

١) أن سبب شقاء الإنسان في الدنيا انحرافه عن منهج اللَّه تعالى الذي رسمه له في خلافته لعمارة الأرض، كما تسبب في إخراجه من الجنة .

٢) أن الاستخلاف في اللغة، وهو إقامة الأصيل غيره مكانه في عمل معين، وأن العمارة في اللغة تطلق على معان منها إطالة بقاء الشيء، إشغاله بما يناسبه، ووضع شيء على شيء على سبيل الثبات، منه البناء الحسي كالزراعة ونحوها، ومنه البناء المعنوي كقولنا: بناء على قاعدة كذا .وأنه جاء في القرآن الكريم بمعناه اللغوي في سياقات متعددة .

٣) أن الراجح من أقوال المفسرين أن المستخلف في الأرض لعمارتها وفق منهج اللَّه آدم عليه السلام وذريته من بعده .

٤) أن عمارة الأرض تنتابها الأحكام الخمسة، وأن ما كان منها محتاجا إليه واجب على كفائي، وأن الواجب منها تتسع دائرته باتساع دائرة ما لا يتم الواجب به فهو واجب، إذا لم يقم به البعض

أثم الجميع ولولي الأمر إجبار الناس على أنواع العمارة المادية من ضروب المهن والصناعات إذا لم يتوفر من يقوم بها .

٥) أن عمارة الأرض عبادة من العبادات بحسب درجة التكليف بها، وأن ما كان منها مباحا يتحول إلى عبادة بنية التقرب إلى اللَّه والاستعانة على أداء حقوقه. وأن عمارة الأرض يدوم ثوابها بدوام الانتفاع بها. وأنه لا يشترط أن تكون العمارة في الملك لاستحقاق الثواب، وبذا يدخل كافة الأجراء وأهل الحرف والصناعات في تحصيل أجرها وثوابها.

٦) أن مصطلح العمارة الإسلامية لا يعبر عن البناء والتكوين المادي فقط بل يتسع ليشمل الجوانب الروحية، والخلقية، والاجتماعية، وهو بهذا أوسع أفقا من مصطلح التنمية الاقتصادية لتضمنه .

٧) أن مصطلحات الاقتصاد الإسلامي، تشترك في مفهومها مع بعض وليست كل المصطلحات غير العربية، وبالتالي ينبغي التنبه إلى هذا الأمر عند تعريب المصطلحات، حيث أن كثيرا من مصطلحات الاقتصاد الإسلامي لها مفهوم خاص مستفاد من الشرع، وليست له مقابل مطابق في الاقتصاد الوضعي، والخطأ في هذا الأمر يؤدي إلى آثار سلبية في البحث والمرجعية وإيصال الأفكار الاقتصادية

الإسلامية إلى غير المسلمين، وعليه أوصي بإعادة النظر فيما نتداوله من مصطلحات في التعبير عن الأفكار الاقتصادية الإسلامية، وأن نعمل على وضع مصطلحات تتناسب مع تميز اقتصادنا الإسلامي وتعبر عن مفاهيمه الخاصة..

مراجع البحث

- أحكام القرآن .

  الجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، بيروت،دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

  الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أتمه تلميذه عطيه محمد سالم، بيروت، عالم الكتب .
- الإسلام والتنمية الاقتصادية .

  دنيا، شوقي أحمد، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م .
- الأدب المفرد.

  البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد اللَّه البخاري الجعفي،بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ -١٩٨٩، الطبعة الثالثة، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي .
- الأشباه والنظائر .

  السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣، الطبعة الأولى.
- البحر المحيط .

  أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي القرناطي، دار الفكر، الطبعة الثانية ،١٤٠٣- ١٩٨٣ .
- التاج والإكليل لمختصر خليل .

  محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد اللَّه، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨، الطبعة الثانية .

- التخطيط والتنمية في الإسلام .
  عفر، محمد عبد المنعم عفر، جدة، دار البيان العربي، ١٤٠٥ هـ .
- الجامع الصحيح المختصر .
  البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبداللَّه البخاري الجعفي، بيروت ، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧-١٩٨٧، الطبعة الثالثة ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .
- الجامع لأحكام القرآن .
  القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد اللَّه، القاهرة، دار الشعب، ١٣٧٢، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.
- السنن الكبرى.
  البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الطبعة الأولى.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .
  ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، القاهرة ، مطبعة المدني، تحقيق : د. محمد جميل غازي.
- القاموس المحيط.
  الفيروز آبادي ، بن يعقوب الفيروزآبادي .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
  الزمخشري، أبي القاسم جار اللَّه بن عمر، بيروت، دار الفكر .
- المذهب الاقتصادي في الإسلام .
  الفنجري، محمد شوقي الفنجري، بحوث مختارة من بحوث المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامي، جدة، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد

الإسلامي، ١٤٠٠هـ .

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي .

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية .

- المصنف في الأحاديث والآثار .

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩، الطبعة الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت .

- المفردات في غريب القرآن.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد أبي الفضل الراغب،مصر، لمطبعة الميمنية، ١٣٢٤ هـ.

- الموافقات في أصول الفقه .

الشاطبي، إبراهيم بنِ موسى اللخمي الغرناطي المالكي، بيروت، دار المعرفة، تحقيق: عبد الله دراز .

- تفسير البيضاوي .

البيضاوي ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦- ١٩٩٦، تحقيق : عبد القادر عرفات حسونة.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

الألوسي، محمود الألوسي أبو الفضل ،بيروت، دار إحياء التراث العربي .

- سنن أبي داود.

أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر

، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

- صحيح ابن خزيمة .

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، بيروت، المكتب الإسلامي،١٣٩٠١٩٧٠ ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي .

- صحيح مسلم .

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري .

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت ، دار المعرفة، ١٣٧٩ ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير .

عبد الرؤوف المناوي، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦، الطبعة الأولى .

- كتاب العين .

الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي .

- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه .

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة

ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي.

- لسان العرب.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم الأنصاري، مصر، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة بولاق.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي ، القاهرة ، بيروت ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ .

- معالم التنزيل .

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة الثانية، تحقيق : خالد العك – مروان سوار.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج .

الشربيني، محمد الخطيب الشربيني، بيروت ، دار الفكر.

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير .

الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين المشتهر بخطيب الري، المطبعة العامرية الشرفية، الطبعة الثانية،١٣٢٤هـ .

- مقدمة في علم الاقتصاد .

قريصة، صبحي تادرس قريصة، ومدحت محمد العقاد، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١ م .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل .

الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبوعبداللَّه الشيباني، مصر، مؤسسة

قرطبة.

- مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد).

ابن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، الطبعة الأولى،تحقيق:صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل .

- موطأ الإمام مالك .

الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد اللَّه الأصبحي، مصر ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .